مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (٩) العدد (٢) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (9) No. (2) 2025

دور التوظيف السياحي للتراث الثقافي غير المادي السوري في تحقيق التنمية السياحية في مدينة حلب القديمة

د. نبال سلطان محيسن*

(تاريخ الإيداع ٢٧/ ١١/ ٢٠٢٤ – تاريخ النشر ٢٣/ ٢/ ٢٠٢٥)

□ ملخّص □

يرتبط التراث الثقافي غير المادي بشكلٍ وثيق بالمجتمعات المحليّة الحاضنة لقيمه والُممارسة لعناصره، إذ يشّكل ذاكرتها وهُويتّها الثقافية ناهيك عن رفده لمختلف الفعّاليات الاقتصادية والسياحية فيها. ويُجسّد هذا التراث في سورية مفهوم "التنوع الثقافي"، علاوةً على اسهام توظيفه السليم في تحقيق التنمية بمختلف أبعادها وخاصةً السياحية منها. وعلى الرغم من دراسة الأبحاث السابقة لعناصر التراث غير المادي، إلا أنها أغفلت دور توظيفه السياحي في تحقيق التنمية السياحية ، لذلك هدفَ البحث لدراسة هذا الدور من خلال تبيان خصائص تراثنا غير المادي المحليّة والدوليّة وشرح آليات التوظيف السياحي الناجح لتلك الخصائص. ويتّبع البحث منهجيةً مزدوجةً أساسها المنهج الوصفي إضافةً للمنهج التاريخي حيث دُرسَ السياق التاريخي للخطابين الوطني والدولي حول التراث، كما أُختيرت مدينة حلب القديمة الغنيّة بعناصر التراث غير المادي كمنطقة دراسة. وتشهد حلب جهوداً حثيثةً بقصد إعادة تأهيل المعالم الثقافية فيها من جهة، وحماية عناصر التراث غير المادي الحلبي المُهددّة بالضّياع من جهةٍ أخرى. ختاماً يوضّح البحث الصعوبات التي تواجهها عملية التوظيف السياحي لتراثنا غير المادي، كما طُرحت ضرورة تبنّي رؤية تشاركية رسمية وأهليّة هدفها الوصول للاستفادة المُثلى من تراثنا غير المادي، حيث قُدمّت توصيات غايتها حماية عناصر ذلك التراث الأمر الذي يحفظ، حُكماً، الهوية الثقافية السورية الفريدة ويعود بالنفع على المجتمعات المحلية.

الكلمات المفتاحية :التوظيف السياحي– التراث الثقافي غير المادي– التنمية السياحية– الاتفاقية الدولية لحماية التراث الثقافي غير المادي–مدينة حلب القديمة.

*قسم الإدارة السياحية– كلية السياحة، جامعة طرطوس

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (٩) العدد (٢) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (9) No. (2) 2025

The role of touristic planning of Syrian intangible cultural heritage in achieving touristic development in the Ancient City of Aleppo

Dr.Nibal sultan muhaisen*

(Received 27/11/2024.Accepted 23/2/2025)

□ABSTRACT □

Intangible cultural heritage (ICH) is fundamentally linked to local communities that embrace its values and practice its elements, as it constitutes its memory and cultural identity, in addition to supporting its various economic and tourism activities. This heritage embodies the concept of "cultural diversity" in the country, also its proper use helps in achieving development in its various dimensions, especially the one related to tourism. Although previous researches has studied the elements of (ICH), it has neglected the role of its touristic planning, hence the present research aimed to study this role by clarifying its local and international characteristics firstly, and explaining the mechanisms of such successful use of those characteristics in achieving touristic development secondly. The research follows a dual methodology: descriptive and historical as the historical context of the national and international discourses on heritage was studied. The Ancient city of Aleppo, rich in (ICH) elements, was chosen as a study area. Aleppo is witnessing intensive efforts to rehabilitate its cultural landmarks on one hand, and to protect its (ICH) that's threatened or endangered on the other. Finally, we clarify the difficulties facing the process of touristic use of our (ICH) and the challenges of protecting it and emphasize the necessity of adopting an official and civil stewardship, aiming to reach the optimal benefit from our national (ICH). We concluded with recommendations aiming at protecting the elements of our (ICH), which inevitably will preserve the unique Syrian cultural identity and serves local society greatly.

Key-words: Touristic planning- Intangible cultural heritage - Touristic development - International Convention for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage - Ancient City of Aleppo

* department of tourism management-faculty of tourism - university of tartous

١) مقدمة البحث

يُعتبر التراث الثقافي غير المادي (Intangible cultural heritage–ICH) من أهم الوسائل المُعبّرة عن ثقافة المجتمع، إذ ينشأ في بيئته المحليّة ويدخل جذرياً في تكوينه ويحمل هويّته الثقافية وذاكرته الفردية والجمعية، كما يشّكل قوّة دافعة نحو التنمية الاقتصادية الشاملة فيه (دليل اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي والتنمية،٢٠٢٠، ص.٩).وينظر الباحثون إلى الحروب والنزاعات وتحدّيات العولمة واجتياح التكنولوجيا بالإضافة إلى التغّير المناخي وما أفرزه من ظواهر طبيعية ومن خلخلة في البُنى الاجتماعية والاقتصادية للدول كأخطر عوامل الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي حالياً (خلف، الأركوازي ٢٠٢١). وفي الوقت الذي أرجعت فيه الدراسات السابقة الأخطار المختلفة التي تتهّدد ذاك التراث إلى ارتفاع مستويات التنمية السياحية ودعت إلى الحد من التأثير السلبي لتلك التنمية على استمرارية عناصر التراث غير المادي، يسلّط البحث الضوء على عملية دمج توظيف عناصر التراث غير المادي بالتنمية السياحية، حيث لا يمكن للتنمية إلا أن تعود بالنفع على الحفاظ على التراث.

إن التفاعل بين عناصر التراث المختلفة، في عموم المنطقة العربية، هو أكثر تعقيداً ممّا نجده في الأُطر الغربية التقليدية، فتراث المنطقة ،سواء بشكله المادي أم غير المادي مُلتحمٌ بحياة الناس حيث لا يموت الماضي وانما يُبدع نفسه باستمرار (Makhloufi 2024). ولابد من التنويه أن البحث يربط بين التراث الثقافي غير المادي والتنمية السياحية فيما حاولت الابحاث السابقة أن تخلق لدى القارئ انطباعاً مُغايراً مفاده أن ازدهار التمية السياحية يأتي على حساب استمرارية التراث غير المادي ويوثر سلباً عليه. انطلاقًا من هذا الترابط الوثيق بين الجوانب المادية وغير المادية للتراث وحتى لا يسود أحدها على حساب الآخر يرسم البحث حدوداً واضحةً بين رؤيتين مُتمايزتين في التعاطي مع التراث يمكن ايجازهما كالآتي:

١. "الرؤية الرسمية" المُعبّرة عن "التراث الرسمي" (Official heritage) أو ما أسمته الدراسات الغربية بخطاب التراث السائد (Authorized heritage discourse) الذي ترعاه المؤسسات الرسمية وتحميه تشريعات قانونية مُلزمة، وهو أكثر استمرارية أو مقاومةً لعوامل الزمن ويحضر في أذهان الناس وعبر وسائل الإعلام الرسمية(Smith.2006. p.29). ويصنّف البحث التراث الثقافي المادي (Tangible cultural heritage) الذي يضم المواقع الأثرية والمعالم والمتاحف والتجمعات الحضرية ضمن هذه الرؤية.

٢. "الرؤية الشعبية" المُعبّرة عن "التراث الشعبي" (Popular heritage)، أو ما أسمته الدراسات الغربية ،وتحديداً الفرنسية، بالثقافة أو الروح الشعبية (Folklore)، وعلى عكس التراث الرسمي، يتجلّى الفولكلور بعاطفيةٍ تربطه بالتقلبّات في الهياكل المُجتمعية ممّا يجعله أضعف مقاومةً لمرور الزمن وأصعب استمراريةً، إضافةً إلى أن البعض يراه كأحد طُرق الاستعمار في الاستعلاء الثقافي والنظر بدونيّة لتقاليد الشعوب المُستَعمرة (البكر،٢٠٠٩، ص.٦٣–٦٥). فالتراث هنا يتلاشى بسهولة أو يُنسى في مواجهة الصراعات والحداثة وهو أقلّ حضوراً في الذهنية العامة وفي وسائل الإعلام المحلية (حسين ٢٠٢٤)، وليس لديه نفس الحماية القانونية كنظيره الرسمي فصونه يُعدّ أكثر تعقيداً من حماية المواقع أو المباني المهددة بالزوال (Smith. Akagawa 2008).

٢) أهداف البحث

هدف البحث لتسليط الضوء على دور عملية التوظيف السياحي للتراث غير المادي بوصفه أحد عناصر الجذب السياحي في مدينة حلب القديمة، الأمر الذي استوجب تحليل آليات ذاك التوظيف بطريقةٍ تشرح إيجابياته دون إغفال عناصره الأساسية. كما ويهدف البحث لإيضاح العلاقة بين التوظيف المسؤول والناجح من جهة، وتحقيق التنمية

السياحية لصالح المجتمعات المحلية من جهةٍ أخرى. إن حلب القديمة غنيةُ بعناصر التراث الثقافي غير المادي، ذات الأهمية المحلية والدولية، حيث نجد الحِرف التقليدية كنفخ الزجاج وصناعة الصابون الحلبي فضلاً عن اشكال التقاليد الشفهية الموسيقية كالقدود الحلبية. ويصطدم التوظيف السياحي في حلب (Touristic planning)، بضعف الإمكانيات والخدمات، ويواجه صعوبات لناحية إدارة مختلف أوجه التوظيف السياحي لهذا التراث. ولا ننسى القول أن حلب القديمة تشمل عناصر تراثية مادية هامة وجذّابة، تتكامل مع تراثها غير المادي، فنجد قلعتها وبعض أحيائها ودور العبادة فيه وبعض الأسواق التقليدية. (دليل اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي والتنمية ،٢٠٢٠، ص.٣). ولابد من التنويه أن البحث يربط بين التراث الثقافي غير المادي والتنمية السياحية فيما حاولت الابحاث السابقة أن تخلق لدى القارئ انطباعاً مُغايراً مفاده أن ازدهار التمية السياحية يأتي على حساب استمرارية التراث غير المادي ويوثر سلباً عليه.

٣) منهج البحث

يتبع البحث منهجيةً مزدوجةً في التعامل مع إشكالية توظيف عناصر التراث الثقافي غير المادي وانعكاس ذلك على التنمية السياحية في منطقة البحث، حيث اتبع الباحث أولاً المنهج الوصفي في توصيف سُبل التوظيف السياحي للمخزون التراثي الثقافي السوري غير المادي، وثانياً المنهج التاريخي في تبيان الفوارق بين المنظورين المحلي والدولي حول التراث غير المادي من ناحية، وعرض مراحل نشأة وتطور معالم حلب قديماً من ناحيةٍ أخرى

٤) متغيرات البحث

بناء على مشكلة البحث والتساؤلات الفرعية فقد تم صياغة العلاقة بين متغيراته كما في الشكل المجاور:

الشكل ١ رسم توضيحي من إعداد الباحث لمتغيرات البحث

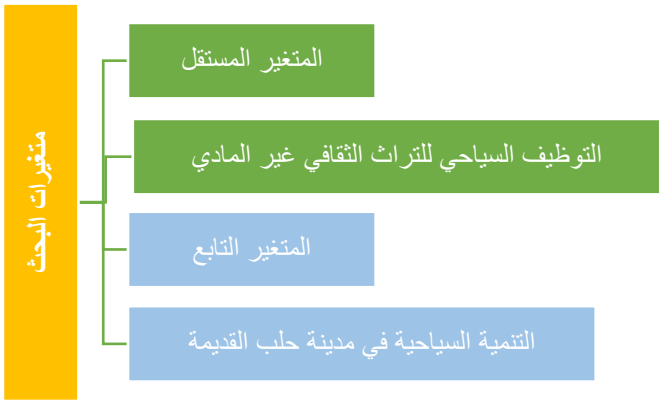

٥) أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على قضية التوظيف السياحي لعناصر التراث الثقافي غير المادي كمُنتجٍ سياحيٍ مهمٍ وواعد في سورية، والتي تمتلك مقومات ثقافية وبشرية تجعلها وجهةً مرغوبةً للسيّاح الباحثين عن ممارسة شتّى أصناف السياحة وبالأخص الثقافية التي تولي أهميةً خاصةً للموروث الشعبي مثل التعرّف على الصناعات التقليدية وأشكال التعبير الشفهي المحلّية التي يقوم عليها التراث غير المادي وذلك دون إهمال العناصر المادية كالمواقع الأثرية والمتاحف (عبد الحليم،٢٠١٩، ص.١٠-١١). كما يحاول البحث توفير معلومات وبيانات مفيدة وموثوقة لدى المخطّطين والمهتمين بالتراث الثقافي غير المادي السوري لتحقيق

الأهداف الاستراتيجية المنشودة للتنمية السياحية محليّاً بعد أن تم تحديد نطاقها وأهدافها دوليّاً في الدراسات ذات الصلة (Gunn 1988).

١) منطقة الدراسة

تعد مدينة حلب الواقعة شمال غرب سورية على ارتفاع ٣٩٠م عن سطح البحر وعلى بعد ٣١٠كم من دمشق، العاصمة الاقتصادية لسورية وواحدةً من أهم مواقع التراث الثقافي المحلي والعالمي، حيث أدرجتها اليونسكو على لائحة التراث العالمي عام ١٩٨٠ ومن معالمها قلعتها الضخمة وأحياء المدينة القديمة وأبوابها التسعة وجامعها الأموي الكبير وكنائسها بالإضافة للأسواق المسقوفة ذات الأقواس الحجرية والخانات، ومن هذه الأسواق والخانات الأثرية (سوق خان الحرير– سوق السقطية – سوق الحدادين –خان الشونة–سوق العطارين–سوق الصابون وغيرها) (دليل موارد التراث العالمي،٢٠١٦). وكانت حلب قديماً عاصمة ممالك "أرمان" و "يمحاض" و "حلبو" منذ العصور القديمة فقد تعاقبت عليها حضارات عدة مثل الأمورية والحثية والآرامية والآشورية والفارسية والهيلينستية والرومانية والبيزنطية والاسلامية، وبقيت لقرون أكبر المدن السورية وثالث مدينة في الدولة العثمانية بعد اسطنبول والقاهرة (خمّاش ٢٠٢٣، ص. ٤٧٣–٤٧٤). وقد جذب موقع المدينة الاستراتيجي عبر العصور على "طريق الحرير" الحضاري العديد من السكان من كافة الأعراق والمعتقدات فسكنوا فيها وأبدعوا حضارة محلية (شعث ، ١٩٩١، ص.٥٧–٦٠)

a. التراث الثقافي غير المادي من منظور دولي

بدأت الدعوات لحماية التراث الثقافي غير المادي من الضياع والدمار على الصعيد الدولي منذ حوالي خمسة عقود من الزمن في الواقع، حيث قطع مفهوم التراث غير المادي رحلةً طويلةً من التعديلات والإضافات قبل الوصول إلى البنية التشريعية والقانونية الحالية(Smith. Akagawa 2008). ونتيجةً لتداعيات العولمة وانعكاسات الصراعات والحروب بأشكالها استشعرت المجتمعات المحلية ضرورة حماية وتوثيق تراثها الغير مادي بما يكفل استمراريته واستدامته (Betrolim 2018. P.92). وقد بدأت محاولات الوصول إلى نصٍ قانونيٍ حول التراث غير المادي مع صياغة منظمة اليونسكو "اتفاقية باريس الأولى لحماية التراث الثقافي العالمي والطبيعي عام ١٩٧٢" وأطلقت اليونسكو العديد من المبادرات مثل "مبادرة حفظ التراث الشفهي وغير المادي للشعوب عام ١٩٩٨". وقد تبلورت الجهود الدولية في داخل أروقة اليونسكو بإنجاز البنية التشريعية والقانونية الواردة في "اتفاقية باريس لصون التراث الثقافي غير المادي العالمي" التي اعتُمدت عام ٢٠٠٣ حيث صادقت عليها سورية في عام ٢٠٠٥ (معلا ٢٠١٧، ص.٥–٦).

وبالعودة إلى نص الاتفاقية، تم تعريف التراث الثقافي غير المادي بنحوٍ أعمق وأكثر جدّية في البند الأول على النحو التالي:

وبتحليل بنود وأحكام الاتفاقية نجد ما يلي فيما يخصّ البحث:

١. المادة (٢–١) المُتفرعّة من فقرة "التعاريف" : يشمل التراث الثقافي غير المادي الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات – وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية – التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية. ولا يؤخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية

القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة"

٢. المادة(٢-٢) المُتفرعّة من فقرة "التعاريف": من تجليّات التراث غير المادي التقاليد والتعابير الشفهية، بما في ذلك اللغة كوسيلة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي، فنون وتقاليد العروض، الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات، والمعرفة والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية. (اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي ،٢٠٠٣).

٣. المادة (٢-٣) المُتفرعّة من فقرة "التعاريف": يشمل الصون التدابير الرامية لاستدامة التراث الثقافي غير المادي بما في ذلك تحديد هذا التراث وتوثيقه واجراء البحوث بشأنه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه وابرازه ونقله.

٤. المواد (١١-١٢) المُتفرعّة من فقرة "الدول الأطراف" تُلزم الدول الأطراف بالقيام بالآتي:

١) اتخاذ التدابير اللازمة لضمان صون التراث الثقافي غير المادي الموجود في أراضيها

٢) تحديد وتعريف مختلف عناصر التراث الثقافي غير المادي الموجود في أراضيها، بمشاركة الجماعات والمجموعات والمنظمات غير الحكومية ذات الصلة.

٣) إعداد قوائم الحصر المستوفاة والخاصة بعناصر التراث الثقافي غير المادي الموجود في أراضيها.

٥. المادة (١٣) المُتفرعّة من فقرة "تدابير الصون الأخرى": اعتماد سياسة عامة تستهدف إبراز الدور الذي يؤديه التراث الثقافي غير المادي في المجتمع وإدماج صون هذا التراث في البرامج التخطيطية

٦. المادة (١٤) المُتفرعّة من فقرة "التثقيف والتوعية وتعزيز القدرات" :ضمان الاعتراف بالتراث الثقافي غير المادي و احترامه و النهوض به في المجتمع وضمان الانتفاع بالتراث الثقافي غير المادي وضمان أوسع مشاركة ممكنة للجماعات.. والأفراد الذين يبدعون هذا التراث

٧. المادة (١٦): القائمة التمثيلية للتراث العالمي الغير مادي

٨. المادة(١٧) قائمة لعناصر التراث غير المادي التي تستحق اتخاذ اجراءات للصون العاجل، (اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي ،٢٠٠٣).

كما يشير نص الاتفاقية في توطئته إلى الارتباط الوثيق للتراث الثقافي غير المادي مع الهويّة الثقافية، التي تؤثّر على التراث غير المادي وتتأثر به وتحّدد استخداماته ونطاقه كما ويشكّل التراث الثقافي غير المادي الذاكرة المشتركة التي تسمح بظهور التصوّرات وأشكال التعبير المعرفة الموروثة عبر هياكل المجتمع. وتجسيداً لتلك الأهمية نصّت التوطئة على وجود علاقةٍ قويةٍ بين صون التراث الثقافي غير المادي والقوانين المتوافقة مع ميثاق حقوق الإنسان العالمي وعهود الحقوق المدنية والسياسية الواردة في الاتفاقيات الدولية السابقة (اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي ،٢٠٠٣). وهناك قضيةٌ مهمةٌ أخرى أكّد عليها الباحثون وهي أن الاتفاقية قد توصلت إلى تعديل "خطاب التراث السائد"، حيث كان يُنظر إلى التراث بشكل أساسي من منظورٍ غربي، فأتت الاتفاقية لتعدّل هذا التوجه لفهم واستخدام التراث الثقافي غير المادي وتربطه بمفاهيم جديدة في المقدمّة تاركةً الأوابد الضخمة واعتبارات الغرب في الخلفية (Smith.2006. p.54) وتمسّ المفاهيم الجديدة المُتبنّاة دولاً خارج المركزية الأوربية وخاصةً خاصةً الدول الأفرو-آسيوية ودول شرقي المتوسط وغيرها، حيث

تم تسليط الضوء لأول مرّة على الحرف المحلية أو التقاليد الشفهية التي تشكّل روح تراثنا الشعبي والقسم الأعظم من تراثنا المحلي، وعلى دور المجتمعات في إبداع وصون تراثها شأننا شأن الدول المُجاورة من بلدان العالم النامي (Makhloufi 2004).

b. **التراث الثقافي غير المادي من منظور محلي**

لا يوجد بعد تعريفٌ جامعٌ ومُلزمٌ للتراث الثقافي غير المادي محلياً، نتيجة اختلاف وجهات نظر ومواقع من يتعامل مع ذاك التراث سواء كانت جهات حكومية، أهلية أو أكاديمية، إلا أن البحث يعتبر التراث الشعبي (التراث العام) بمثابة الحاضن الشرعي لأي تعاطٍ مع مختلف عناصر التراث الثقافي غير المادي، فضلاً عن التحامه الغير قابل للفك بعناصر التراث الثقافي المادي. وهناك أيضاً مسألة نشأة مفهوم التراث الشعبي في سورية حيث تأثّرت بالخطاب الثقافي الذي ساد بعد اندحار الانتداب الفرنسي واستقلال الدولة الوطنية في المرحلة ما بعد–الاستعمارية (Post–colonial) حول تنمية المجتمع والعلاقة الجوهرية لذاك التراث بالهوية الثقافية السورية. وقد مارس الحرفيون السوريون لعقودٍ خلت فنونهم الحرفية والصناعات التقليدية في العديد من الأسواق التراثية كأسواق الحميدية ومدحت باشا والبيوت التراثية التي انتشرت في دمشق كقصر العظم وحلب وحمص وحماة وطرطوس وغيرها، إلى أن اتخذت الحكومة قراراً بافتتاح "سوق المهن التراثية" في مبنى التكية السليمانية بجانب المتحف الوطني.

وتعود جهود توثيق التراث في سورية وحفظه إلى سبعينيات القرن العشرين، عندما أنشأت وزارة الثقافة "مكتبًا للتراث الشعبي" ولاحقاً تم إحداث "مديرية التراث الثقافي اللامادي" لتحلّ محل المكتب السابق ولكي تقوم بالتعريف وبالترويج لعناصر التراث الثقافي غير المادي من خلال إصدار الكتب والمجلاّت حول التراث الشعبي (مجلة التراث الشعبي ٢٠٢٤، ص. ٤–٥) وقد تجلّى الاهتمام بجمع هذا التراث في عرضه جزئياً في الأسواق التراثية أو تحويل المنازل العربية التقليدية إلى متاحف للتقاليد الشعبية، مثل قصر العظم الذي تم تحويله إلى متحف للتقاليد الشعبية في عام ١٩٥٤.

وتجدر الإشارة لقيام الحكومة لقيام وزارة السياحة بتنظيم مشاركة أصحاب الحرف والمهن اليدوية في المعارض والبازارات الدولية، إضافةً لقيام الحكومة في آذار من عام ٢٠٢٤ بنقل كافة ورشات الحرف والصناعات التقليدية التي كانت سابقاً بجانب التكية السليمانية إلى "حاضنة دُمّر المركزية للفنون الحرفية،". (مذكرة وزارة الثقافة السورية، ٢٠٢٤). والواقع أن التوجه نحو التراث غير المادي حديث في سورية؛ والجهود المبذولة في هذا المجال، وكذلك المشاركة الرسمية في تلك الجهود، واضحة في عمل العديد من الجهات الرسمية وغير الرسمية، بما في ذلك المنظمات غير الحكومية والجمعيات وتنشط بالتوازي مع جهود الوزارات المعنية كالثقافة والصناعة والسياحة، العديد من المنظمات غير الحكومية ومن ضمنها "المنظمة السورية للتنمية "،حيث أثمرت تلك الجهود في توثيق عناصر التراث الثقافي غير المادي وتطوير المخزون الوطني ورقمنته، فضلاً عن تنفيذ مشاريع مجتمعية لحماية التراث الثقافي غير المادي، مثل "الحرف اليدوية السورية" و"التراث الحي" (Living heritage) (مشاريع المنظمة السورية للتنمية٢٠٢٣). ولطبيعة البحث يقتصر الباحث غلى عناصر التراث الثقافي غير المادي في حلب وهي كالتالي:

١. حرفة تصنيع صابون الغار الحلبي باستخدام زيت الزيتون والغار باعتبارها أحد أقدم الصناعات التقليدية ولكونها تدعم الاقتصاد المحلي للمجتمع الحلبي، حيث ترجع بجذورها لمملكة حلب القديمة وكان صابون الغار أحد أهم البضائع المُبادلة عبر الطُرق التجارية خلال الفترة العثمانية وتم تسجيل العنصر في لوائح اليونسكو لعناصر التراث غير المادي ٢٠٢٤.

٢. حرفة نفخ الزجاج التقليدي التي نجدها في الأسواق الحلبية ،والدمشقية القديمة، باعتبارها حرفة تراثية أصيلة وتشكل مورد لبعض العائلات حيث ترجع بجذورها للحضارة الفينيقية وقد طوّرها العرب المسلمون وانتقلت لاحقاً لأوربةوتم وضع هذا العنصر على قائمة الحفظ العاجل لمنظمة اليونسكو لعناصر التراث غير المادي في عام ٢٠٢٣.

٣. العزف على وتصنيع آلة العود الموسيقية الوترية التي تميّزت بها حلب كعنصرٍ ثقافيٍ مشترك بين سورية ودول المنطقة حيث تسجيل العنصر في لوائح اليونسكو لعناصر التراث غير المادي عام٢٠٢٢.

٤. القدود الحلبية وهي الأغاني التراثية الواسعة الانتشار في حلب وغيرها حيث تم تسجيل العنصر في لوائح اليونسكو لعناصر التراث غير المادي في عام ٢٠٢١.

كما تجدر الإشارة إلى عمل منظمة غير حكومية سورية تُدعى "وثيقة وطن"، والتي تركّز على جمع الشهادات وتشكيل قاعدة بيانات ضمن "مشاريع التأريخ الشفوي" وهي خطوة سيكون لها تأثير على إعادة تشكيل الذاكرة الجمعية. كما أجرت هذه المنظمة العديد من الدراسات الميدانية بخصوص "توثيق الحرف اليدوية"، أو التراث الديني الروحي مثل" التراث الصوفي"، أو "التراث الكنسي" أو "التراث السرياني" وحتّى "المأكولات السورية" (مشاريع وثيقة وطن ٢٠٢١).

الشكل ٢رسم توضيحي من إعداد الباحث لعناصر التراث الثقافي غير المادي السوري بالاعتماد على الدراسات السابقة

إضافةً لما سبق عمدت وزارة الثقافة لاستغلال البيوت التراثية والأبنية التاريخية كمتاحف للتقاليد الشعبية كقصر العظم في دمشق والبيمارستان الأرغواني في حلب الذي عرض أشكال الفنون والتقاليد والأزياء الشعبية في المدينة والوثائق والمخطوطات. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك دار غزالة وبيت أجقباش، اللذان أقيما في العهد العثماني وتعرضا لأضرار بالغة في الصراع الأخير علماً أن المديرية العامة للآثار والمتاحف قد أنهت عمليات ترميم وإعادة تأهيلهما بشكلٍ كامل في عام ٢٠٢٣ (مذكرة وزارة الثقافة،٢٠٢٤). كما لا يفوتنا التذكير بإعادة تأهيل وافتتاح عددٍ من أسواق المدينة القديمة التي طالها الخراب كسوق السقطية والحدادين والأحمدية والحبال على امتداد الشارع المستقيم، قلب المدينة التجاري النابض، وغنيٌ عن القول أنّ هذه الأسواق تحمل في

دكاكينها ذاكرة الماضي العريق بعاداته وتقاليده وممارساته الحرفية ومعارفه المتوارثة وبعبارةٍ أخرى البيئة الشعبية والمُحبّبة لمختلف عناصر التراث الثقافي غير المادي.

٢) الترابط بين التنمية السياحية والتراث الثقافي غير المادي

تظهر التنمية السياحية حسب الخطاب الدولي كأحد أبعاد أشكال التنمية، وهي بدورها ملموسة في كل عناصر التنمية المختلفة، وتتقاطع مع جوانب إدارة وحماية المواقع التراثية وعناصر التراث الثقافي غير المادي في أماكن عديدة ، فكل مقومات التنمية الشاملة هي في النهاية من مقومات التنمية السياحية (دليل موارد التراث العالمي،٢٠١٦، ص.٢٠-٢٢). وقد أجمعت الدراسات على وجود مجموعة من المبادئ والأنظمة التي تقوم عليها التنمية السياحية (Touristic development) تشمل استغلال واستثمار الموارد السياحية الطبيعية والبشرية أو عوامل الجذب والارتقاء بالبنية التحتية لصناعة السياحة ما يشمل رفع سوّية قطاعات النقل والايواء والإعلان السياحي والإدارة السياحية والأشغال اليدوية (هرمز،٢٠٠٦، ص.١٨). ولإيضاح الصورة فإن توظيف التراث الثقافي غير المادي يتقاطع مع عناصر التنمية السياحية المذكورة سابقاً في عدّة أمور فالتراث غير المادي هو أولاً عنصر جذب سياحي بامتياز أيضا تُشّكل الحِرف اليدوية بدءً من استخراج المواد الخام وحتى مرحلة التسويق، إحدى الوسائل المساعدة (Facilites) للتنمية السياحية، كونها تُمارس ضمن الأسرة الواحدة أو المجتمعات المحليّة، إذ توفّر فُرص عمل للفئات الضعيفة اقتصادياً وترفع مشاعر الأمان والانتماء(دليل اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي والتنمية ،٢٠٢٠، ص.١٠). ويمكن تعريف التنمية السياحية أنها عملية ترتكز على توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السيّاح ويشمل ذلك بعض تأثيرات السياحة كتوفير فرص تشغيل واعدة (هرمز،٢٠٠٦، ص.٢٠). وتتمثّل أهمية الحفاظ على عناصر التراث غير المادي في ارتباطها المباشر في نشر الثقافات وزيادة التواصل بين الشعوب ممّا يُشكلّ أحد عناصر التنمية السياحية على الصعيد الثقافي. وبالتالي فكل أشكال التنمية السياحية هي بالنهاية روافع للتنمية الاقتصادية كونها تهدف إلى الإسهام في زيادة الدخل الفردي الحقيقي، وبالأعم للدخل القومي، فضلاً عن اسهامها في تنمية كافة المقومات الطبيعية والإنسانية والمادية مما ينتج عنه زيادةً في مستويات القدوم السياحي للبلاد وتحسيناً لفرصها في المنافسة السياحية (Daher2007).

٣) الأضرار التي لحقت بالتراث الثقافي غير المادي السوري في مدينة حلب القديمة بسبب الحروب

لقد كان للتدمير الذي لحق بالتراث الثقافي السوري بكافة مكوناته في السنوات الأخيرة عواقب كارثية على مختلف أشكال التراث غير المادي في مختلف أنحاء البلاد. ويمكن تصنيف حالات الضرر إلى كاملةٍ أو جزئية، حيث تتفاوت في شدتها واتساعها. وقد وقعت الأضرار في العديد من المدن القديمة التي تُعبّر معالمها عن البيئة التي نشأت فيها عناصر التراث غير المادي (عبد الكريم ٢٠١٧، ص.ص.١١٣-١١٦):

١. تدمير وحرق معظم الأسواق التقليدية وأماكن العبادة والأماكن العامة، التي تعد حاضنات للتراث غير المادي.

٢. خروج معظم الورش كالمصابن التراثية والمصانع والمتاجر الحرفية عن الخدمة وإغلاقها نتيجة إما للنهب أو الحرب.

٣. تدمير متحف التقاليد الشعبية في حلب حيث تعرضت مُقتنياته لأضرار بالغة وخاصةً الكورنيشات المُزخرفة فوق الخُزن والأبواب الخشبية.

٤. فقدان رأس المال البشري بسبب الهجرة أو تحول الناس إلى مهن أخرى تستحوذ على اهتمام الشباب، حيث لا يدرك الشباب حالياً ما تمثّله تلك المهن والحرف التقليدية من زخم ثقافي واقتصادي.

٥. ضعف الدعم المالي للمهن التقليدية وانخفاض أسعار المُنتجات التقليدية فالطلب وإن وُجد يكون ضعيفاً فيؤدي ذلك لضعف في عملية التسويق.

٦. عدم توثيق المعارف المُتعلقة بالصناعات والحِرف كتابياً لا من قبل الجهات ولا من قبل الأفراد والاعتماد الكُلّي على نقل تلك المعارف وتوارثها شفاهياً، ناهيك عن تناقص أعداد العارفين بسرّ المهنة كما في صناعة العود وصابون الغار على سبيل المثال. (مشاريع المنظمة السورية للتنمية ٢٠٢٣)

٧. العولمة والمكننة، التي وضعت بقاء التراث السوري غير المادي في العديد من المدن في سباقٍ مع الزمن فلمتعد المُنتجات القديمة قادرة على المنافسة سوقياً أمام ما تنتجه الآلة كما في معاناة استخراج شرانق الحرير الطبيعي أمام الحرير الصناعي. (مشاريع المنظمة السورية للتنمية ٢٠٢٣)

وقد جاء وقوع حلب ضمن منطقة نشطة زلزاليا ليزيد الوضع تعقيداً وبالنسبة للأسواق التاريخية التي دمرتها الحرب بنسب متفاوتة، جاء الزلزال ليفاقم المشكلة، وتسبب بانهيارات في الأسواق التي تنتظر الترميم أو إعادة الإعمار، كما طالت آثار الزلزال بعض الأسواق المرممة حديثاً.

٤) الخاتمة: نحو استراتيجية وطنية لحماية التراث الثقافي المادي

سعى البحث لتوضيح دور التوظيف السياحي للتراث الثقافي غير المادي السوري مما استوجب أولاً التعريف بالسياق التاريخي للخطاب حول ذلك التراث الذي نراه وثيق العُرى مع نظيره المادي لناحية بقاء المجتمعات المتضررة وضمان نقل معارفها وخبراتها إلى الأجيال القادمة في سورية. عانى التراث الثقافي غير المادي من أضرار أقل نسبيا مقارنةً بالمواقع الأثرية مثلاً، ونعتقد أن امكانية إحياؤه يمكن ان تتم بشكل أسرع وبتمويل أقل ووقع اختيارنا على مدينة حلب القديمة كمنطقة دراسة كونها في صميم تلك الاشكالية. تتقاطع استراتيجيات الحماية مع سياق إعادة الإعمار، وينبغي تنفيذها بموازاة تبني خطاب وطني يتمحور حول التراث الثقافي غير المادي السوري تقديراً لسماته وحفاظاً على عناصره من أي إهمال أو تلف أو نسيان ممّا يمهد الطريق لصياغة استراتيجية وطنية ووضع أُسس خطاب وطني حول التراث الثقافي في جميع جوانبه في سورية. وبناء على ذلك توصلت هذه الدراسة إلى المقترحات التالية:

١) ضرورة تكثيف حملات التوعية الشعبية والحكومية عبر مختلف وسائل الإعلام وتأمين الدعم المالي اللازم لتشغيل السوق المحلية

٢) ضرورة تفعيل مسارات سياحية–ثقافية تستعرض عناصر التراث الثقافي غير المادي مثلاُ مسارات حرف تقليدية أو مسارات المأكولات الشعبية حيث يتم إعادة الاعتبار للماضي وعدم ازدراءه وتحقيق المنفعة منه

٣) ضرورة الإسراع بإصدار قانون حماية التراث الثقافي غير المادي في سورية أُسوةً بقانون حماية الآثار فلا يمكن بأي حال من الأحوال فصل حماية عناصر التراث الثقافي عن حماية المُدن والمباني القديمة وليس عبثاً أن الاتفاقية الدولية تجمع بين التراثين المادي وغير المادي في المادة (٢). (اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي،٢٠٠٣)

٤) ضرورة احترام المبادئ الأخلاقية وتحمّل المسؤولية تُجاه الأفراد والمجتمعات الضعيفة اقتصادياً خاصةً بوجه السياحة الغازية أو تداعيات العولمة والكوارث الطبيعية بأنواعها (دليل اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي والتنمية ،٢٠٢٠، ص.١١)

٥) النظر في انشاء متاحف متخصصة أو معارض مؤقتة أو دائمة لعناصر التراث الثقافي غير المادي تقوم على مشاركة المجتمع المحلي على سبيل المثال للصناعات الحرفية علماً أن المجلس الدولي للمتاحف قام بإدراج عرض عناصر التراث الثقافي غير المادي ضمن مهام المتاحف الأثرية الجديدة وتعريفاتها بما يضمن تحويلها لمؤسسات ثقافية وتعليمية (المجلس الدولي للمتاحف 2022)

٦) ضرورة تفعيل مبدأ التشاركية الرسمية والمجتمعية بقصد الوصول للتوظيف الأمثل للتراث الثقافي غير المادي بما يحترم طبيعته وخصائصه ويجعل منه رافعة تنموية للمجتمعات المحليّة ويعود بالأمن والسلام عليها وخاصةً بعد النزاعات(دليل اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي والتنمية ،٢٠٢٠، ص.١٣).

٥) المراجع والدراسات العربية

١) البكر، محمود مفلح، (٢٠٠٩)، *مدخل إلى البحث الميداني في التراث الشعبي*، منشورات وزارة الثقافة– مديرية التراث الشعبي، دمشق.

٢) حسين، مهند، (٢٠٢٤)،*"دور وسائل الإعلام في التوعية بأهمية التراث الثقافي غير المادي– دراسة ميدانية على أداء المركز الإذاعي والتلفزيوني في محافظة طرطوس"*، مجلة جامعة طرطوس للعلوم الاقتصادية والانسانية، مجلّد ٨، العدد ٦. ص.ص.١–٢٠.

٣) خلف،حسام.، الاركوازي، محمد، (٢٠٢١)، *"صون التراث غير المادي أثناء النزاعات المسلّحة"*، مجلة جامعة بغداد، المجلّد٣٦، العدد١، ص.ص. ٣٣٧–٣٦٢.

٤) خماش، نجدة، (2003)، *تاريخ حلب*، الموسوعة العربية، المجلد ٨، ص. ص.479–472، دمشق.

٥) عبد الحليم، سعدي (٢٠١٩)، *"حماية السياحة التراثية بين: النصوص القانونية وآليات التطبيق"*، منشورات المؤتمر الدولي الثالث حول التراث والسياحة الثقافية البديلة (تحرير.) حرارية، عتيقة وآخرون. منشورات جامعة سوسة. تونس.

٦) شعث، شوقي، (١٩٩١)، *حلب تاريخها ومعالمها التاريخية*، منشورات جامعة حلب. حلب.

٧) معلّا، طلال، (٢٠١٧)، *التراث الثقافي غبر المادي–تراث الشعوب الحي*، منشورات مركز دمشق للأبحاث والدراسات، أوراق دمشق–٤، دمشق.

٨) مجلة التراث الشعبي، العدد ٣٣. منشورات وزارة الثقافة. ٢٠٢٤.دمشق.

٩) هرمز، نور الدين، (٢٠٠٦)،*"التخطيط السياحي والتنمية السياحية"* في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية– سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٢٨، العدد٣، ص. ص. ١١–٢٥.

١٠) (مشاريع المنظمة السورية للتنمية ٢٠٢٣)، https://syriatrust.sy/ar/area/4 ،(تاريخ الزيارة٠١/٠٩/٠٣، مُتاح).

١١) (مذكرة وزارة الثقافة السورية، ٢٠٢٤)، https://www.syrianfinance.gov.sy ،(تاريخ الزيارة٢٤/١١/٠٥، مُتاح).

١٢) (مذكرة وثيقة وطن،٢٠٢١)، https://wathiqat-wattan.org ،(تاريخ الزيارة١٠/١١/٢٤، مُتاح).

١٣) (دليل موارد التراث العالمي،٢٠١٦)، https://whc.unesco.org/en/managing-cultural-world-heritage/، (تاريخ الزيارة٠٥/٠٩/٢٤، مُتاح).

١٤) (دليل اليونسكو حول التراث الثقافي غير المادي والتنمية،٢٠٢٠) https://unesdoc.unesco.org/ark ، (تاريخ الزيارة٨/٠١١/١، مُتاح).

١٥) (اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي ،٢٠٠٣)، https://ich.unesco.org/en/convention، (تاريخ الزيارة1/١١/٢٤، مُتاح)

١٦) (المجلس الدولي للمتاحف، ٢٠٢٣)،https://icom/en/convention ، (تاريخ الزيارة٠٣/٠٩/١، مُتاح).

٦) قائمة المراجع الأجنبية

1) Bertorelli C. *"The Challenges of UNESCO Intangible Cultural Heritage"*, Journal of Tourism Studies, 17 (2018), 91-117.

2) Daher, R. *Tourism in the Middle East, Continuity, Change and Transformation,* Channel View Publications, (2007).

3) Esfehani, M. H., & Albrecht, J. N. *"Planning for Intangible Cultural Heritage in Tourism: Challenges and Implications*". Journal of Hospitality & Tourism Research, 43(7), (2019). 980-1001.

4) Gunn, C. *Tourism Planning,* N. Y. Taylor and Fancies Publication. (1988).

5) Makhloufi L, (ed,). *Tangible and intangible heritage in the age of globalization.* (OPB. 2024)

6) Meissner. M. *Intangible Cultural Heritage and Sustainable Development*.(Springer:2021)

7) Smith, Laurajane. *Uses of heritage* (Routledge: 2006).

8) Smith, L., Akagawa N. *Intangible Heritage.* (Rutledge: 2008).

9) Telfer, D.J., & Sharpley R. *Tourism and Development in the Developing World.* (Rutledge: 2016).

10) UNWTO, Glossary of Tourism Terms, 2023. https://www.unwto.org/glossary-tourism-terms
(تاريخ الزيارة ، مُتاح ٢٠.٠٧.٢٣).